

معانى الكلمات :

تبارك : تكاثر خيره .

ليبلوكم : ليختبركم .

طباقا : طبقة بعد طبقة .

تفاوت : نقص أو اختلاف .

فارجع : فكرر .

فطور : شقوق .

تغلى : تغلى .

فسحقا : فبعداً من الرحمة .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ - أن نستشعر عظمة الله تبارك وتعالى في خلقه .

٢ - أن نعلم الغاية من وجودنا وأن نرتفع إلى مستوى حقيقتنا .

٣ - أن نتعرف على جهنم في استقبالها الذين كفروا .

محتوى التبرؤ :

تعالج السورة إنشاء تصور جديد للوجود ، وعلاقاته بخالق الوجود ، تصور واسع شامل ، يتجاوز عالم الأرض الضيق وحيز الدنيا المحدود ، إلى عوالم في السموات ، وإلى حياة في الآخرة ، وإلى خلائق أخرى غير الإنسان في عالم الأرض كالجن والطيور ، وفي العالم الآخر كجهنم وخزنتها ، وإلى عوالم في الغيب كما أنها تثير في حسهم التأمل فيما بين أيديهم ، وفي واقع حياتهم وذواتهم مما يمرون به غافلين .

وتبدأ بهذه التسيبحة التى توحى بزيادة بركة الله ومضاعفتها ، وتمجيد هذه البركة الراقية الفائضة ، وذكر الملك بجوارها يوحى بفيض هذه البركة على هذا الملك ، وتمجيدها في الكون بعد تمجيدها في جناب الذات الإلهية ، ترنمة تتجاوب بها أرجاء الوجود ، ويعمرها بها قلب كل موجود ، وهى تنطلق من النطق الإلهي في كتابه الكريم ، من الكتاب المكنون إلى الكون المعلوم ،

فالله هو المالك له ، المهيمن عليه ، القابض على ناصيته المتصرف فيه ، وهي حقيقة حين تستقر في الضمير تجدد له الوجهة والمصير ، وتحليه من التوجه أو الاعتماد أو الطلب من غير المالك المهيمن المتصرف في هذا الملك بلا شريك ، كما تحليه من العبودية والعبادة لغير المالك الواحد الذي لا يعجزه شيء ، ولا يفوته شيء ، ولا يحول دون إرادته شيء .

ومن آثار تمكنه المطلق من الملك وتصريفه له ، وآثار قدرته على كل شيء وطلاقة إرادته أنه خلق الموت من خلق الله ، وليست المسألة مصادفة بلا تدبير ، وليست كذلك جزافاً بلا غاية ، إنما هو الابتلاء لإظهار المكنون في علم الله من سلوك الأناسى على الأرض ، واستحقاقهم للجزاء على العمل ، واستقرار هذه الحقيقة في الضمير يدعه أبداً يقظاً حذراً متلفتاً واعياً للصغيرة والكبيرة في النية المستسرة والعمل الظاهر ، ولا يدعه يغفل أو يلهو ، كذلك لا يدعه يطمئن أو يستريح ، وتسكب الطمأنينة في القلب فالله عزيز غالب ولكنه غفور مسامح .

والقرآن يوجه النظر إلى خلق الله في السموات بصفة خاصة ، وفي كل ما خلق بصفة عامة ، يوجه النظر إلى خلق الله وهو يتحدى بكماله كما لا يرد البصر عاجزاً كليلاً مبهوراً مدهوشاً ، فليس هناك خلل ولا نقص ولا اضطراب ، وانظر مرة أخرى للتأكد والتثبت ، فهل وقع نظرك على شق أو صدع أو خلل ؟ وربما فانتك شيء في النظرة السابقة لم تتبينها ، فأعد النظر ثم أعد ، فلن يرجع إلا ذليلاً صاغراً وهو كليل قد انقطع من الإعياء من كثرة التكرار ولا يرى نقصاً .

يقول صاحب الظلال : « وهذه النظرة الحادة الفاحصة المتأمل المتدبرة هي التي يريد القرآن أن يثيرها وأن يبعثها ، فبلادة الألفة تذهب بروعة النظرة إلى هذا الكون الرائع العجيب الجميل الدقيق ، الذي لا تشبع العين من تملى جماله وروعته ، ولا يشبع القلب من تلقى إحياءاته وإيحاءاته ، ولا يشبع العقل من تدبر نظامه ودقته ، والذي يعيش منه من يتأمل بهذه العين في مهرجان إلهي باهر رائع ، لا تخلق بدائعه ؛ لأنها أبداً متجددة للعين والقلب والعقل ... ومن نعمة الله على البشر أن أودعهم القدرة على التجاوب مع هذا الكون بمجرد النظر والتأمل ، فالقلب يتلقى إيقاعات هذا الكون الهائل الجميل تلقياً مباشراً حين يتفتح ويستشرف ، ثم يتجاوب مع هذه الإيقاعات تجاوب الحي مع الحي ، قبل أن يعلم بفكره وبأرصاده شيئاً عن هذا الخلق الهائل العجيب ، ومن ثم يكل القرآن الناس إلى النظر في هذا الكون ، وإلى تملى مشاهدته وعجائبه » .

ومن ثم يوجه القرآن النظر إلى جمال السموات بعد أن وجه النظر إلى كمالاتها ، وما السماء الدنيا ؟ لعلها هي الأقرب إلى الأرض وسكانها المخاطبين بهذا القرآن ، ولعل المصابيح المشار إليها هي النجوم والكواكب الظاهرة للعين التي تراها حين ننظر إلى السماء ، فذلك يتسق مع توجيه المخاطبين إلى النظر في السماء ، وما كانوا يملكون إلا عيونهم ، وما تراه من أجرام مضيئة تزين السماء ، ويذكر النص القرآني أن هذه المصابيح التي زين الله السماء الدنيا هي كذلك ذات

وظيفة أخرى ، فقد جعلها الله رجوما للشياطين في صورة شهب ، وكيف ؟ من أى حجم ؟ في أية صورة ؟ كل ذلك لم يقل الله لنا عنه شيئا ، فلنعلم هذا وحده ولنؤمن بوقوعه . ثم يستطرد فيما أعده الله للشياطين غير الرجوم ، فالرجوم في الدنيا وعذاب السعير في الآخرة لأولئك الشياطين ، ولما ذكر ما أعد للشياطين من عذاب السعير ذكر بعده ما أعده للذين كفروا من أتباع هؤلاء الشياطين ، ثم يرسم مشهداً لجهنم هذه ، وهي تستقبل الذين كفروا في غيظ وحنق شديد ، وجهنم هنا مخلوقة حية ، تكظم غيظها ، فترتفع أنفاسها في شهيق وتفور ؛ ويملاً جوانحها الغيظ فتكاد تنمزق من الغيظ العظيم وهي تنطوى على بغض وكره يبلغ إلى حد الغيظ والحنق على الكافرين .

والتعبير يقرر حقيقة إيمان الوجود كله بخالقه ، وتسبيح كل شيء بحمده ، ودهشة الخلائق وارتباعها لشذوذ الإنسان حين يكفر ، ويشذ عن هذا الموكب وتحفز هذه الخلائق للانقضاض على الإنسان في غيظ وحنق ، كالذى يطعن في عزيز عليه كريم على نفسه ، فيغتاز ويحنق ، ويكاد من الغيظ يتمزق ، كما هو حال جهنم وهي تغلى ، ويكاد ينفصل بعضها عن بعض ، كذلك نلمح هذه الظاهرة في خزنة جهنم ، فيأتى سؤاها للتأنيب والترذيل ، وهي مشاركة لجهنم في الغيظ والحنق ، ويأتى الجواب في ذلة وانكسار ، وندموا حيث لا تنفع الندامة وقالوا : فلو كانت لنا عقول ننتفع بها أو نسمع بها ما أنزل الله من الخلق لما كنا على ما كنا عليه من الكفر بالله والاعتقار به ، واعترفوا بذنبهم في الموقف الذى لم يؤمنوا به ولم يصدقوا بوقوعه ، والدعاء من الله قضاء ، فهم مبعدون من رحمته ، لا رجاء لهم في مغفرة ، ولا إقالة لهم من عذاب ، وهم أصحاب السعير الملازمون له ، ويا لها من صحبة ، ويا له من مصير .

والمألوف في سياق القرآن أن يعرض صفحتين متقابلتين في مشاهد القيامة ، فيعرض صفحة المؤمنين في مقابل صفحة الكافرين ، فمن خاف مقام ربه فيها بينه وبينه إذا كان غائبا عن الناس ، فينكف عن المعاصي ويقوم بالطاعات حيث لا يراه أحد إلا الله - فله مغفرة وأجر كبير ، فيكفر عنه ذنوبه ، ويجازى بالثواب الجزيل .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ - ضرورة التفكير في قدرة الله - تعالى - التي تظهر آثارها في خلق السموات والأرض ؛ لتزداد إيماناً بعظمته .

٢ - الحكمة من وراء الموت والحياة اختبار الإنسان في هذه الدنيا لتمييز أهل الخير من أهل الشر .

٣ - يندم الكافرون وأهل المعاصي في الآخرة عندما يرون العذاب حيث لا ينفع الندم .

معاني الكلمات :

أسروا : أخفوا .

اجهروا به : أظهروه .

ذلولا : سهلة تستقرون عليها .

مناكبها : نواحيها المختلفة .

تمور : تهمز اهتزازا شديدا .

لجوا : أصروا على العصيان .

عتو : استكبار .

مكبا على وجهه : منكسا رأسه .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ - أن نعلم نعمة الله على خلقه في تسخير الأرض وتذليلها لهم .

٢ - أن نستشعر خطورة الأمان الذي يوحى بالغفلة عن الله وقدرته وقدره .

٣ - أن نعلم بعض الأدلة الناطقة بعظمة الله وقدرته .

تفسير الآيات :

في تقرير علم الله بالسر والجهر ، يتحدى البشر وهو الذى خلق نفوسهم ، ويعلم مداخلها ومكانها التى أودعها إياها ، فأسروا أو اجهروا فى قولكم فهو مكشوف لعلم الله سواء ، وهو يعلم ما هو أخفى من الجهر والسر ، بما يخطر فى القلوب ، ألا يعلم الخالق وهو الذى خلق ويصل علمه إلى الدقيق الصغير والخفى المستور .

ثم ينتقل السياق إلى الأرض التى خلقها لهم وذلّلها وأودعها أسباب الحياة ، والناس لطول ألفتهم لحياتهم على هذه الأرض ، وسهولة استقرارهم عليها ، وسيرهم فيها ، واستغلالهم لتربتها ومائها وهوائها وكنوزها وقوامها وأرزاقها جميعا ، ينسون نعمة الله فى تذليلها لهم

وتسخيرها ، والقرآن يذكرهم هذه النعمة الهائلة ، ويبصرهم بها ، في هذا التعبير الذى يدرك منه كل أحد وكل جيل بقدر ما ينكشف له من علم هذه الأرض الذلول وقد جعل الله الأرض قارة ساكنة لا تميد ولا تضطرب ، بما جعل فيها من الجبال ، وأنبع فيها من العيون ، وسلك فيها من السبل ، وهىأ فيها من المنافع ومواضع الزروع والثمار ، فسافروا حيث شئتم من أقطارها وترددوا فى أقاليمها وأرجائها فى أنواع المكاسب والتجارات ، واعلموا أن سعيكم لا يجدى عليكم شيئا ، إلا أن ييسره الله لكم ولهذا قال : ﴿ وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ ﴾ فالسعى فى السبب لا ينافى التوكل ، وإلى الله المرجع ، وإلا فلأى أين إن لم يكن إليه ؟ والمملك بيده ؟ ولا ملجأ منه إلا إليه ؟ وهو على كل شيء قدير ؟

وبينما هم فى هذا الأمان على ظهر الأرض الذلول ، وفى هذا اليسر الفائض بإذن الله وأمره ، الآن يهز هذه الأرض الساكنة من تحت أقدامهم هزاً ، ويرجها رجاً فإذا هى تمور ، ويثير الجو من حولهم فإذا هو حاصب يضرب الوجوه والصدور ، يهز هذه الأرض فى حسهم ويثير هذا الحاصب فى تصورهم ؛ ليتنبهوا من غفلة الأمان والقرار ، ويمدوا بأبصارهم إلى السماء وإلى الغيب ، ويعلقوا قلوبهم بقدر الله ، والبشر الذين يعيشون على ظهر هذه الدابة الذلول ، ويحلبونها فينالون من رزق الله فيها نصيبهم المعلوم ، يعرفون كيف تتحول إلى دابة غير ذلول ولا حلوب فى بعض الأحيان ، عندما يأذن الله بأن تضطرب قليلا ، فيرتج كل شيء على فوق ظهرها أو يتحطم ، ويمور كل ما عليها ويضطرب فلا تمسكه قوة ولا حيلة ، ذلك عند الزلازل والبراكين ، التى تكشف عن الوحش الجامح ، الكامن فى الدابة الذلول ، التى يمسك الله بزمامها فلا تثور إلا بقدر ، ولا تجمع إلا توانى معدودات يتحطم فيها كل ما شيد الإنسان على ظهرها .

والقرآن يذكر البشر الذين يخدعهم سكون الدابة وسلامة مقادتها ، ويغريهم الأمان بنسيان خالقها ومروضها ، يذكرهم بهذه الجمحات التى لا يملكون من أمرها شيئا ، والأرض الثابتة تحت أقدامهم ترتج وتمور ، يحذرهم وينذرهم فى تهديد يرج الأعصاب ويخلخل المفاصل ، ويضرب لهم الأمثلة من واقع البشرية ، ومن وقائع الغابرين المكذبين ، ولقد أنكر الله ممن كذبوا قبلهم أن يكذبوا وهو يسأل كيف كان إنكارى عليهم ومعاقبتى لهم ؟ وقد كانت آثار الدمار والخراب تصف لهم كيف هذا النكير ، وكيف كان ما أعقبه من تدمير .

بعدئذ ينتقل بهم من لمسة التهديد والنذير ، إلى لمسة التأمل والتفكير ، فى مشهد يروونه كثيراً ، ولا يتدبرونه إلا قليلا ، وهو مظهر من مظاهر القدرة ، وأثر من آثار التدبير الإلهى اللطيف ، فتأمل هذا الطير ، وهو يصف جناحيه ويفردهما ، ثم يقبضهما ويضمهما ، وهو فى الحالتين : حالة الصف الغالبة ، وحالة القبض العارضة يظل فى الهواء ، يسبح فيه سباحة فى يسر وسهولة ، ويأتى بحركات نخيل إلى الناظر أحيانا أنها حركات استعراضية لجمال التحليق والانقضاض والارتفاع ، والقرآن يشير بالنظر إلى هذا المشهد المثير ، ثم يوحى بها وراءه من التدبير والتقدير ،

والرحمن يمسكهن بقدرته القادرة التي لا تكل ، وعنايته الحاضرة التي لا تغيب ، بهذا التعبير المباشر الذى يشئ بيد الرحمن تمسك بكل طائر وبكل جناح ، والطائر صاف جناحيه ، وحين يقبض وهو معلق فى الفضاء ، والله يبصره ويراه ، ويبصر أمره ويخبره .

ثم يلمس قلوبهم لمسة أخرى ، فيقول تعالى للمشركين الذين عبدوا غيره ، يبتغون عندهم نصراً ورزقا ، منكرأ عليهم فيما اعتقدوه ، وخبرأ لهم أنه لا يحصل لهم ما أملوه ، وليس لهم من دونه من ولى ولا واق ، ولا ناصر لهم غيره ، ويقول سبحانه : من هذا الذى إذا قطع الله رزقه عنكم يرزقكم بعده ؟ ! فلا أحد يعطى ويمنع ، ويخلق ويرزق وينصر إلا الله - عز وجل - وحده لا شريك له وهم يعلمون ذلك ومع هذا يعبدون غيره ، واستمروا فى طغيانهم وإفكهم وضلالهم معاندة واستكباراً ونفوراً على أديارهم عن الحق ، لا يسمعون له ولا يتبعونه .

ولقد كانوا مع هذا - يتهمون النبى ﷺ ومن معه بالضلال ، ويزعمون لأنفسهم أنهم أهدى سبلا ، كما يضع أمثالهم مع الدعاة إلى الله فى كل زمان ، ومن ثم يصور لهم واقع حالهم وحال المؤمنين فى مشهد حى يحسم حقيقة الحال ، فالكاfer مثله فيما هو فيه كمثل من يمشى مكبا على وجهه ، يمشى منحنيا لا مستويا على وجهه ، لا يدري أين يسلك ولا كيف يذهب ، بل تائه حائر ضال ، والمؤمن السعيد المجتهد المهتدى إلى الله ، المتبع بهداه ، الذى سير على طريق واضح بين ، وهو فى نفسه مستقيم ، وطريقه مستقيمة ، فأيهما أهدى ؟ وهل الأمر فى حاجة إلى جواب .

وعلى ذكر الهدى والضلال ، يذكرهم بها وهبهم الله من وسائل الهدى ، وأدوات الإدراك ثم لم ينتفعوا بها ، ولم يكونوا من الشاكرين ، والقرآن يذكر حقيقة أن الله هو الذى أنشأ الإنسان ويذكر بجانبها ما زود الله به الإنسان من وسائل المعرفة ، وما قابل الإنسان به هذا بالنعمة : نعمة الإنشاء ونعمة السمع والأبصار والأفئدة ، وعلى هذه الهبات الضخمة التى أعطاها الإنسان لينهض بتلك الأمانة الكبرى ، فإنه لم يشكر ، وهو أمر يثير الخجل والحياء عند التذكير به ، والله - عز وجل - هو الذى بث ونشر ، وليتذكر البشر وهم منتشرون فى الأرض أن هناك غاية هم صائرون إليها هى الجمع والحشر ، ويحكى شكهم فى هذا الحشر ، فيقولون : متى يقع هذا الذى نخبرنا به ، ويأتى الجواب بأنه لا يعلم وقت ذلك على التعيين إلا الله ، ولكنه أمرنى أنى أخبركم أن هذا كائن وواقع لا محالة ، فمهمتى الإنذار والبيان ، أما العلم فعند صاحب العلم الواحد بلا شريك .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ - المؤمن يسعى لطلب الرزق آخذاً بالأسباب ، معتمداً على الله - تعالى - عالماً أنه هو الرازق .

٢ - المؤمن يطمئن إلى ربه ويرجو رحمته وفضله .

٣ - فى الهالكين الأولين عبر وعظات لمن له قلب حى وعقل يعقل به .

معانى الكلمات :

زلفة : قريبا منهم .

سيئت : كتبت واسودت غما وذلا .

تدعون : تطلبون أن يعجل لكم استهزاء .

يجير : ينجى .

بهاء معين : ظاهر جار .

ممنون : مقطوع .

المفتون : المجنون .

تدهن : تصانع .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١ - أن نعلم حقيقة القدرة المطلقة ، وحقيقة الهيمنة المطلقة .
- ٢ - أن نتعرف على شيء من عروض المشركين على النبي ﷺ للالتقاء في منتصف الطريق .
- ٣ - أن نستشعر قيمة العنصر الأخلاقي في ميزان الله تعالى .

المحتوى التربوي :

بينما يسأل الكفار في شك ويجابون في جزم ، يخيل السياق القرآني كأن هذا اليوم الذى يسألون عنه قد جاء ، والموعد الذى يشكون فيه قد حان ، وكأنها هم واجهوه الآن ، فكان فيه ما كان ، فقد رأوه قريبا مواجهها لهم حاضراً أمامهم دون توقع ودون تمهيد ، فسيئت وجوههم ، وبدا فيها الاستياء ، ووجه إليهم التائب ، فهذا اليوم حاضر قريب ، وهو الذى كنتم تدعون أنه لن يكون .

ولقد كانوا يترصدون بالنبي ﷺ والحفنة المؤمنة التى معه أن يهلكوا فيستريحوا منهم ، وكانوا يتواصون بينهم بالصبر عليه حتى يوافيه الأجل ، وهنا أمام مشهد الحشر والجزاء يأتى سؤال يرددهم إلى تدبر حاظم ، والتفكير فى شأنهم وهو الأولى ، فما ينفعهم أن تتحقق أمانيتهم فيهلك الله النبي ومن معه ، كما لا ينقذهم بطبيعة الحال أن يرحم الله نبيه ومن معه ، والله باق لا يموت وهو

الذى ذرأهم فى الأرض وإليه تحشرون ، ولكنه لا يقول لهم : فمن يجيركم من عذاب اليم ؟ ولا ينص على أنهم كافرون ، إنما يلوح لهم بالعذاب الذى ينتظر الكافرين وهو أسلوب فى الدعوة حكيم ، يخوفهم من ناحية ، ويدع لهم فرصة للتراجع عن موقفهم من ناحية .

ثم يترقى من هذه التسوية بين الأمرين إلى تقرير موقف المؤمنين من ربهم وثقتهم به وتوكلهم عليه ، مع التلميح إلى اطمئنانهم لإيمانهم ، وثقتهم بهداهم ، وبأن الكافرين فى ضلال مبين ، وذكر صفة الرحمن يشير إلى رحمته العميقة الكبيرة برسوله والمؤمنين معه ، فهو لن يهلكهم كما يتمنى الكافرون أو كما يدعون ، ويوجه النبى ﷺ إلى إبراز الصلة التى تربطهم بربهم الرحمن ؛ صلة الإيمان وصلة التوكل ، ويأتى التهديد الذى من شأنه أن يخلخل الإصرار على الجحود ، ويدعوهم إلى مراجعة موقفهم مخافة أن يكونوا هم الضالين ، وأخيراً يلمح لهم بعذاب الدنيا قبل عذاب الآخرة ، وذلك بحرمانهم من سبب الحياة الأول ، وهو الماء ، وهى لمسة قريية فى حياتهم إن كانوا ما يزالون يستبعدون ذلك اليوم ويشكون فيه ، والملك بيد الله فكيف لو توجهت إرادته إلى حرمانهم مصدر الحياة القريب ، ثم يدعم يتدبرون ما يكون لو أذن الله بوقوع هذا المحذور .

سورة القلم

يقسم الله - سبحانه ، بنون ، وبالقلم ، وبالكتابة ، والعلاقة واضحة بين الحرف (نون) بوصفه أحد حروف الأبجدية وبين القلم ، والكتابة ، فأما القسم بها فهو تعظيم لقيمتها وتوجيه إليها ، فى وسط الأمة التى لم تكن تتجه إلى التعلم عن هذا الطريق ، وكانت الكتابة فيها متخلفة ونادرة ، فى الوقت الذى كان دورها المقدر لها فى علم الله يتطلب نمو هذه المقدرة فيها ، وانتشارها بينها ؛ لتقوم بنقل هذه العقيدة وما يقوم عليها من مناهج الحياة إلى أرجاء الأرض ، ثم لتنهض بقيادة البشرية قيادة رشيدة ، وما من شك أن الكتابة عنصر أساس فى النهوض بهذه المهمة الكبرى .

ثم يثبت نعمة الله على نبيه ، فى تعبير يوحى بالقربة والمودة حين يضيفه سبحانه إلى ذاته ، وينفى تلك الصفة المفترات التى لا تجتمع مع نعمة الله على عبد نسبه إليه وقربه واصطفاه ، فكيف تجتمع صفة الجنون مع هذا التكريم العلى ، وإن لعبده ﷺ لأجراً دائماً موصولاً لا ينقطع ولا ينتهى ، وهو إيناس وتسرية وتعويض فائض غامر عن كل حرمان وعن كل جفوة وعن كل بهتان يرميه به المشركون ، ثم تحيى الشهادة الكبرى والتكريم العظيم بأنه ﷺ على خلق عظيم ، وتتجاوب أرجاء الوجود بهذا الثناء الفريد على النبى الكريم ، ويعجز كل قلم ، ويعجز كل تصور عن وصف قيمة هذه الكلمة العظيمة من رب الوجود ، وهى شهادة من الله فى ميزان الله ، لعبد الله ، ومدلول الخلق العظيم هو ما عند الله مما لا يبلغ إلى إدراك مداه أحد من العالمين ، وإن لهذه اللفتة دلالتها على تمجيد العنصر الأخلاقى فى ميزان الله وفى منهجه الذى جاء به هذا النبى الكريم .

وبعد هذا الثناء الكريم على عبده يطمئنه إلى غده مع المشركين الذين رموه بذلك البهت اللثيم ، ويهددهم باقتضاح أمرهم وانكشاف بطلانهم وضلالهم المبين ، وهذا الوعد من الله يشير